الاورثذكسيَّة والانكليكانيَّة

نظر تاريخي كنائي للاب لويس شيخو اليسوعيّ

كان دخول بطريرك الفنار الجديد غبطة السيّد ملاتيوس الرابع ميتاكساكيس الى الاستانة العليَّة وجلوسهُ على كرسيّ بطريركيَّتهِ في ٦ شباط من السنة الجارية يوماً مشهوداً فصار لهُ مع مساعدة الانكليز استقبال شائق رغماً عن اثينة وملكها قسطنطين والوزارة اليونانيَّة وبعض الاساقفة المادين لڤنيزيلوس

استبشرت الكنيسة البوزنطيَّة بقدومهِ وأملت برئاستهِ الحصول على نهضة جديدة في الاورثذكسيَّة . وقد أيَّد السيّد ملاتيوس امالي شعبهِ بخطابهِ الاوَّل الذي القاهُ امام الجماهير المجمهرة يوم قدومهِ اذ عدَّد ما ينويهِ من الاصلاحات المتعدّدة لتعزيز شؤون كنيستهِ الروحيَّة والماديَّة وقد ابدى اسفهُ على ما يراهُ « من مناواة ابنة الكرسي البطريركي البكر (اي اليونان) التي عدَّت انَّها ورفعت يدها عليها »

ومما أعلن بهِ البطريرك رغبتهُ الشديدة في السعي وراء الاتحاد مع الكنائس الغربيَّة ولاسيما الكنيسة الانكليكانيَّة التي تجاهر بأنَّها نحو العنصر اليوناني فتعضدهُ طاقة جهدها

وليس كلام السيّد ملاتيوس هذا في اتحاد الكنيسة الروميَّة والكنيسة الانكليكانيَّة شقشقة لسانٍ او كلاماً فارغاً تسقطهُ الريح وتنسفهُ . فانَّ لبطتهِ سوابق تشهد على ميلهِ الى البروتستانيَّة فانَّهُ في مدَّة تطوافهِ في جهات اميركة صرَّح لدى ارباب الدينين والمدنيين بشوقهِ العظيم لاتحاد كنيستهِ الشرقيَّة بالكنيسة الاميركيَّة الرسميَّة اي الانكليكانيَّة . ولمَّا وقع عليهِ الاختيار للكرسي البطريركيّ قفل راجعاً الى الاستانة لكنهُ في طريقهِ مرَّ بلندن واجتمع برئيس اساقفة كنتربري الانكليكاني وباحثهُ في امر اتحاد الكنيستين ووعدهُ بان سيرسل الى عاصمة الانكليز رجلاً ثقةً ينشىء فيها كنيسةً يونانيَّة ويسعى وراء الاتحاد المرغوب

وهكذا تمَّ بعد لشهر قليلة فان السيّد ملاطيوس في مجمع ملّي عقدهُ بعد مجيئهِ بزمن قليل عزم على اقامة كرسيّ مطرويوليتيّ في لندن . وفي ٦ نيسان الماضي عيَّن

لهذه المهنة مدير المدرسة اللاهوتية في خلكي سابقاً وهو السيد جرمانوس وهو ايضاً ممّن يتزعون الى الشيعة البروتستانتية وقد تشرّب تعاليمها اذ درس في ليبسيك ونال فيها شهادة اللفنة في الفلسفة. ولمّا عُقد في انكلترة قبل سنتين مؤتمر الاديان كان هو ممثلاً لبطريركية القنار

فيتحتّم علينا لدى هذه الظواهر ان نبحث عن الاتحاد المنوي بين الكنيستين الشرقية الاورثذكسية والانكليكانية هل هو ممكن وما هي العوائق الحائلة دون إتمامه فعلاً

***

ما احلى على اللسان لفظ الاتحاد! وما احبّ وقعهُ في النفوس! فمنهُ القوّة وبهِ الطمأنينة وإيّاهُ طلب السيد المسيح لتلاميذهِ « ليكونوا مكمّلين في الوحدة»

على انّ هذه الوحدة المرغوبة التي يجب على كلّ ابناء الله ان يلتمسوها من مراحم الاب السماوي لا يُحصل عليها الّا بشروط معلومة اوّلها ائتلاف القلوب واتّفاق العقول في الايمان الواحد وقبول الحقائق الجوهريّة في الدين . وعلى هذا بنينا مقالتنا السابقة في احتمال رجوع روسيّة الى الكثلكة (ص ٧٣٥) كما يمكننا ان نبنيها ايضاً لاثبات رجوع الكنيسة الاورثذكسيّة الى حظيرة البيعة الكاثوليكية اذا شاء ارباؤها ان يتجرّدوا عن اوهامهم بحقّها وينصتوا الى صوت آبائهم القديسين الذين ماتوا على ايمانها فانّ الحواجز التي اقاموها بين الكنيستين قليلة الثبات سريعة الانحطام تسقط بادنى تروّ اذا عرضوها على محكّ الانتقاد وسبروها بميار الحقّ ونظروا اليها بنور الله الساطع في الاسفار المقدّسة وتآليف الآباء الاوّلين وكتبهم الطقسيّة الجليلة

وهل يا تُرى الامرُ على هذا المنوال بين الكنيسة الاورثذكسيّة والكنائس البروتستانتيّة بايّ اسم دُعيت وايّ نعتٍ نعتت بهِ نفسها؟ فدعنا نعمل في ذلك نظر العقل الصواب متجرّدين عن كلّ غرض شخصيّ

مساعي البروتستانت المتعدّدة للتقرّب من الكنيسة الاورثذكسية

وقبل ان نبحث في إمكان الاتحاد بين الكنيستين الانكليكانية والاورثذكسيّة يحسن بنا ان نذكر بالاختصار مساعي البروتستانت المتعدّدة للتقرّب من الكنيسة الشرقيّة

ما كاد لوتارس ينشر راية العصيان على الكنيسة الرومانيَّة التي رمتهُ ومشايعيهِ بالحرم حتى سعى اصحابهُ بتوقيرِ انصارهِ وكان من جملتهم نثنكتون فهذا أدرك ما ينقص المجتمعات البروتستانيَّة من علامات كنيسة المسيح « الواحدة الجامعة المقدَّسة الرسوليَّة» فاراد ان يتلافى كلّ هذه النقائص بالتقرُّب من الكنيسة الشرقيَّة. ففي السنة ١٥٥٩ ارسل الى يواصف الثاني بطريرك القسطنطينيَّة دستور ايمان البروتستانت في مدينة اوسبرغ وشفعهُ بكتاب يحاول فيه الدفاع عن مذهبهِ الذي يقرب على قولهِ من مذهب الكنيسة البوزنطيَّة الَّا انَّ البطريرك لم ينخدع بهذه التمويهات فلم يجب عليهِ بحلوةٍ لا مُرَّة

ثمَّ عاد البروتستانت اساتذة مدرسة توبنغن سنة ١٥٧٣ فسعوا بواسطة سفير المانية في القسطنطينيَّة ان يشتركوا بالايمان مع البطريرك ارميا الثاني وطالت المخابرات بين ارباب البروتستانت وزعيم الكنيسة اليونانيَّة الى السنة ١٥٨٢ فلم تأتِ بنتيجة فان ارميا فنَّد كلّ مزاعم الشيعة اللوثرانيَّة بادلَّة قاطعة لم تدع لهم املًا بالاتحاد المرغوب

وما مرَّ على ذلك خمسون سنة حتى تفنَّى اشياع كلوين بالظفر بمجلوس كيرلُّس لوكاريس على كرسيّ القسطنطينيَّة. فان كيرلُّس هذا كان تلقَّن العلوم في مدارس البروتستانت وتشرَّب روحهم وتوصَّل بدسائسهِ الى ان يتولَّى تدبير الكنيسة الشرقيَّة على الروم سنة ١٦٢١ فكان معظم اهتمامهِ ان ينفث في مرؤوسيهِ من ارباب الدين واعيان الرعايا سمَّ التعاليم الكلوينيَّة بعضدهُ في ذلك سفراء انكلترَّة وهولندة واسوج ببثّ المطبوعات البروتستانية الَّا انهُ لم يفز بغايتهِ وبعد ان خُلع مرارًا من رئاستهِ وعاد اليها خمس مرَّات مات اخيرًا الشيخ ميتةً سنة ١٦٣٨ ثمَّ اجتمع بعد موتهِ مجمع ملّي رماهُ بالحرم ونبذ تعاليمهُ الكاذبة. ثمَّ تكرَّر حرمهُ بعد ذلك في الاستانة سنة ١٦٤٢ في عهد البطريرك برثانيوس وفي المجمع الاورشليمي في زمن البطريرك دوسيثاوس سنة ١٦٧٢

وفي اواخر القرن السابع عشر ضربت ايضًا في الاستانة وفي بقيَّة الكنائس الشرقيَّة بدعةُ كالوين بضربة لازبة اذ نشر بطاركة الشرق مناشيرهم مصرِّحين باعتقادهم لاسرار الكنيسة ولاسيَّما سرّ القربان الاقدس وراذلين تعاليم البروتستانت

(راجع مقالات المشرق في ذلك ٦ [١٩٠٣] : ٥٠١ و ٩٧١ ثم ٧ [١٩٠٤] : ٧٦٦ و ٧٩٥)

على انَّ الانكليز كانوا يدَّعون انَّهم ليسوا بروتستانت ولا يوافقون اللوثرانيين والكلوينيين في مذهبهم فظنُّوا انهم يستطيعون ان يبرموا الاتحاد مع الكنيسة الاورثذكسيَّة . ولبلوغ هذه الغاية بنى اسقف لندن الانكليكاني هنري كومبتون (H. Compton) كنيسةً للروم في عاصمة انكلترَّة سنة ١٦٧٧ وخصَّ اساتذة اوكسفرد سنة ١٦٩٤ احدى مدارسهم ثوريستر (Worcester College) لخدمة اليونان . ولمَّا ارسل صموئيل كپازولس بطريرك الاسكندريَّة الاورثذكسي سنة ١٧١٤ اثنين من اساقفته لجمع الحسنات لكرسيِّه من انكلترَّة عرض عليهما زعماء البروتستانت دستور ايمانهم مع شروط شتَّى لتوحيد الكنيستين طلبوا المصادقة عليها فذهبت مساعيهم ادراج الرياح

وفي السنة ١٧١٦ عزم قوم من الانكليز والسكوتلنديين على عقد محالفة دينيَّة مع الكنيسة الاورثذكسيَّة فكان نصيبهم الخيبة . ثمَّ تكرَّرت هذه المخابرات دون جدوى في غضون القرن الثامن عشر ثمَّ في التاسع عشر فكان رؤساء الكنيسة الشرقيَّة مع تساهلهم لا يزالون يرون في اقاويل الاكليروس الانكليزي ومعتقداته عدَّة امور منافية لايمانهم لا تنطبق مع تعاليم الآباء الشرقيين

وفي السنة ١٨٤٥ ارسل ملك پروسية فردريك غليوم الرابع بعد اتفاقه مع رئيس اساقفة كنتربري اسقفاً بروتستانتياً الى اورشليم ليقيم فيها ويمهِّد السبيل للاتحاد مع الروم فكان لتنصيبه اسوأ وقع في قلوب الروم وقسم من الانكليز وكانت نتيجة ذلك على خلاف ما ظنَّ البروتستانت وزاد نفور الاورثذكس من المذهب الانجيلي

فالتفت رؤساء الكنيسة الانكليزيَّة الى رئيس اساقفة الشرق السيد ميشال مطروبوليت بلغراد فأظهر لهم بعض الانس لكنَّه رأى استنكاف شعبه من المذهب الانكليكاني فقطع العلاقات معهم وحرم احد كهنته يوسف قاسيلياف لمشاركته الانكليكان في الدينيَّات

وفي تلك الاثناء طرأت على الكنيسة الانكليكانيَّة طوارئ جديدة بما يدعونهُ حركة اوكسفرد سنة ١٨٤١ اذ قام عدَّة علمائها ورأوا ان معتقدات كنيستهم

لا تنطبق مع تعاليم الآباء الاولين فنبذوا كثيراً منها وتقربوا من الكنيسة الكاثوليكية في امور عديدة فدُعوا بالطقسيين (ritualistes) وظنوا اذ ذاك انهُ لم يبقَ عائق في سبيل الاتحاد مع الكنيسة الشرقية فاوفدوا واحداً منهم وليم پلمر (W. Palmer) الى موسكو والى الاستانة لتحقيق آمالهم من الاتحاد فرجع بخفي حنين ولم يقبل الاورثذكس ان يشاركوه بالدين بل انكر عليهِ بطريرك القسطنطينية صحة معموديته . فلمَّا أيس من اقناعهم مرَّ برومة حيث اجتمع بأحد الآباء اليسوعيين فهداهُ الله على يدهِ ونبذ الشيعة البروتستانتية وصار كاثوليكياً . وحذا حذوهُ غيرهُ من اصحاب الحركة المذكورة ذوي الشهرة الواسعة كوليم جورج وَرْد (W. G. Ward) والكردينال نيومن (Newman) ثمَّ الكردينال مانغ (Manning)

على انَّ الأنكليكان في الحقبة الاخيرة اعني منذ اوائل القرن العشرين جدَّدوا آمالهم في عقد الاخاء مع الكنيسة اليونانية لما انتشر في هذا القرن من الولاء وروح التساهل بين العناصر المختلفة ولدخول قسم كبير من المطبوعات الدينية البروتستانتية في مدارس اللاهوت في اليونان وفي مدرسة خلكي وفي مدرسة بتروغراد . فجرت بين رئيس اساقفة كنتربري والبطريرك قسطنطين الخامس مراسلات ودية تتابعت بعدهُ في السنين التالية الى عهدنا هذا ولكن هذه المكاتبات لم تتجاوز المواصلات الانسية ولا نظنّ انها تبلغ الى المشاركة التامة بالديانات . ودونك اثبات قولنا :

ليس من المحتمل الاتحاد بين الارثذكسية والانكليكانية

(اولاً) لعدم وجود قاعدة ايمان صريحة في الكنيسة الانكليكانية . لو طلبنا من الاكليروس الانكليكاني ان يُعلن لنا بايمانهِ ويحرّر دستور معتقداتهِ لاختلف كلٌّ منهم عن صاحبهِ فينبذ الواحد ما يقبلهُ الآخر ويبارك زيد ما يلعنهُ عمرو . والدليل على قولنا الاطلاع على تاريخ انكلترة الديني فانَّ المعتقدات الدينية قد تلوَّنت عندهم

كاني براقش كلَّ لو ن لونهُ يتخيَّلُ .

أفيمكن الاورثذكسي أن يقبلها مع ما فيها من الاختلاف والتناقض؟

(ثانياً) وجب ان الانكليكان يقدّمون للاورثذكس دستوراً موافقاً لتعليمهم

فمن يضمن لهم انهم يثبتون عليه مع مبدأ الحرّية الشخصيّة في التعليم والاعتقاد الشائع عند الانكليكان كما عند بقيّة الشيع البروتستانيّة . أفيرضى الاورثذكسيّ بمثل هذه الفوضى الدينيّة ؟

(ثالثاً) يقول ارسطو في حكمه الفلسفيّة انّ صديق صديقي هو صديقي . فالانكليكان اصدقاء لمعظم الشيع البروتستانيّة ولاسيّما الشيع المعروفة رسميًّا من الدولة والمعدودة من كنيسة انكلترّة العليا او السفلى كما ورد في دستور ايمانهم الرسميّ (البند الثامن) . وبين هذه الشيع ما ينكر تعاليم الاورثذكس نكراناً صريحاً او ضمنيًّا . فان صادق الاورثذكس فئةً منهم لا مناص لهم من مصادقة الجميع لما بينهم من الروابط . فما قول الكنيسة البوزنطيّة الكبرى بمثل هذه المصادقة أفليست تجعل فعلاً كلّ تعاليمها ان وافقت الانكليكان في الشركة الدينيّة ؟

(رابعاً) من المعلوم انّ ليس من احد يستطيع الانتظام في سلك الكنيسة الانكليكانيّة الّا ويقسم علانيةً بطاعته للتسع والثلاثين عقيدة التي قرّرتها الحكومة الانكليزيّة في القرن السادس عشر وفرضتها على ذويها الذين يتعهّدون بالمحافظة عليها كتابةً وشفاهاً . والحال انّ بين هذه العقائد المزعومة ما يخالف صريحاً معتقد الكنيسة الكاثوليكيّة والكنيسة الاورثذكسيّة معاً . واوّل هذه العقائد تجعل كلّ السلطة الدينيّة في عهدة ملك انكلترّة . ومنها ما يعزو الضلال للمجامع المسكونيّة وينبذ غيرها الخمسة الاسرار المقدّسة وينكر الاستحالة . وبعضها يجيز الزواج للكاهن وللمطران . ومما يضادّ تعليم الكنيسة الاورثذكسيّة ويوافق التعليم الكاثوليكي انبثاق الروح القدس من الآب والابن . فليت شعري لو حالفت الاورثذكسيّة شقيقتها الانكليكانيّة أفلا يجب عليها ان تقبل كلّ هذه المعتقدات فتُبطل اورثوذكسيّتها من اصلها ؟ (راجع مقالة المرحوم الاب انطون رباط في التسع والثلاثين عقيدة في المشرق ٧ [١٩٠٤] : ٩٣٥—٩٣٨)

(خامساً) قد ثبت اليوم تاريخيًّا ان سرّ الكهنوت قد بطل في الكنيسة الانكليكانيّة لانقطاع سلسلته المتواصلة في الكنيستين الكاثوليكيّة والاورثذكسيّة بعهد الرسل . وقد حكم بذلك حكماً نهائيًّا السيد الذكر البابا لاون الثالث عشر بعد ان شكّل لجنةً خاصّة في فحص هذا الامر الجوهريّ وكذلك رفضت الكنيسة

الاورثذكسيَّة ان تعتبر صحَّة السيامة الكهنوتيَّة عند الانكليكان وذلك في مجمع عقدهُ في رومية سنة ١٨٧٤ المنفصلون عن الكنيسة الرومانيَّة منهم الالمان المدعوون بالكاثوليك العتق انصار دِلِنجر وكان بينهم ممثِّلو كنيسة روسيَّة وكنيسة القسطنطينية. فلمَّا طلب الانكليكان ان يعترف اعضاء المجمع بصحَّة السيامات في انكلترَّة والكنائس المتشعِّبة منها وبأنها حفظت دون انثلام السلسلة الاسقفيَّة، أَبى الجميع ولاسيما المندوبون الاورثذكس ان يوافقوهم على ذلك واتوا لاثبات نفيهم بشواهد من كبار علمائهم كطروبوليت موسكو فيلاريتوس وكالاستاذ الكسيس مَلْتزاف

(سادساً) ان الكنيسة اليونانيَّة عموماً منذ عهد الرسل الى هذه القرون الاخيرة قد اعتبرت ترجمة الكتب المقدَّسة اليونانيَّة المعروفة بالسبعينيَّة كالترجمة الرسميَّة دون ان تفرق بين الاسفار القانونيَّة الاولى (protocanoniques) المكتوبة بالعبرانيَّة والثانويَّة (deutérocanoniques) الموحى بها بالكلدانيَّة او اليونانيَّة. (راجع مقالة حضرة الاب رئاط المنونة «الكتاب المقدَّس والكنيسة الارثوذكسيَّة في الشرق ١٢ [١٩٠٩] : ٨٠١—٨٣٠). والحال انَّ الكنيسة الانكليكانيَّة تنفي من توراتها الاسفار الثانويَّة وتنكر صحَّتها ولذلك قد نهى البطريرك القسطنطيني غريغوريوس السادس في المجمع المنعقد سنة ١٨٣٦ عن مطالعة التوراة البروتستانيَّة وحرَّم الذين يحضرون اجتماعاتهم الدينيَّة. فيا تُرى ايحقق اليوم الاورثذكس ما فنَّدوهُ سابقاً باتحادهم مع الكنيسة الانكليكانيَّة؟

هذه ملحوظات نعرضها على كافَّة ابناء الكنيسة الاورثذكسيَّة في اقطارها ليقيسوها بميار الحكمة ويعرضوها على محكّ الانتقاد الحالي من كلّ غرض. فليحكموا ايمكن لبطريرك الفنار الجديد ان يؤمِّل خيراً من تقريبه الى الكنيسة الانكليكانيَّة؟ او يجوز لسيادة المطران مسرَّة ان يحضر — كما يقال مؤتمر الاديان الذي نووا عقدهُ في نيويرك فيصافح من يناصبون تعاليم كنيسته بل ينقضون اساس كلّ دين باعتبارهم كلّ الاديان متساويةً ناتجة عن اختراع البشر. ولا نظنّ ان سيادتهُ نسي كلام يوحنا الرسول في رسالته الثانية: «كلّ من تعدَّى ولم يثبت على تعليم المسيح فليس الله له... فمن أتاكم ولم يأتِ بهذا التعليم فلا تقبلوهُ في البيت ولا تقولوا لهُ سلام... ومن هنا تظهر حكمة الحبر الاعظم الطيب الذكر بندكتوس الخامس عشر وخلفه الجالس

سعيداً على الكرسي الرسولي بيوس الحادي عشر وقد ابى كلاهما تعيين مندوبين يحضرون باسمهما ذلك المؤتمر لا أنهما يأبيان الاتحاد والائتلاف لكن لعلمهما بانهُ ليس سلام وألفة الّا في كنيسة المسيح المبنيَّة على الصخرة البطرسيَّة التي لا تقوى عليها ابواب الجحيم وانَّ من لا يجمع مع المسيح وناتبه فهو يفرّق. أنار الله ابصار الخراف الضالّة ومتَّعها بخيرات الراعي الذي اقامهُ تعالى لهداها وسلامتها في سعادة الدارين

فن تهذيب الذاكرة

بقلم حضرة الاب رفائيل نخله اليسوعي (تتمَّة)

تطبيقات المشكل الاوّل في الحياة العمليَّة

نجيب على سؤال المعترض بذكر بعض تطبيقات المشكل الاوَّل في الحياة العمليَّة ومنها تظهر فوائد هذه الطريقة لحفظ عدَّة الفاظ بينها علاقة معنويَّة ولفظيَّة

﴿ الاول : حفظ قطعة شعر او نثر بالحرف الواحد ﴾ افترض ايها القارئ العزيز انك تريد استظهار ابيات احمد بك شوقي المذكورة سابقاً. أعِدْ قراءتها فتُوقن ان اسهل وسيلة لحفظها هي حفظ سلسلة الفاظها الآتية : « أنس . حياة . ادهشت . الآلاء . علت . رغت . خرّت . بساط . عريض . كتاب . تحيَّة » . ويسهل حفظ هذه السلسلة بايجاد علاقات تربط كلًّا من حلقاتها بالحلقة التالية وفقاً لشروحنا السابقة

﴿ الثاني : حفظ سلسلة الافكار الجوهريَّة في خطاب برار الناطق ﴾

من البديهي انه يسهل بلوغ هذه الغاية بحفظ الالفاظ المعبّرة عن تلك الافكار. فكم وكم من الوعّاظ والمحامين والخطباء السياسيّين وغيرهم كانوا يأمنون مخاذير النسيان الشائن لو نوّعوا خطبهم باتباع هذه الطريقة السهلة !